رئيس «مرمطون» وحكومة «على ما تفرج»!

لا أعرف من الذى اخترع كلمة «مرمطون»، وإن كانت من فعل «مرمط» و«تمرمط» مرمطة، والمعنى على أى حال ظاهر الإهانة، أى أن يهين شخص ما نفسه أو أن يهينه الآخرون، وقد مرمط الرئيس محمد مرسى نفسه، أو قل إنه ولد هكذا، وعرف أن الطاعة سبيل الترقى، فاتخذها سبيلا لنفسه فى سلك جماعة الإخوان، وظل محافظا على عهد «المرمطة» حتى بعد أن صار رئيسًا منتخبا لمصر، ووسط أجواء من تنازع المجلس العسكرى ومكتب إرشاد الإخوان فى التأثير على مرسى، وصياغة قراراته، وترك مهمة توقيعها لسيادته، وهى مهمة لا يملك أن يعتذر عنها، وكما اعتذر للناس - ببلاهة - عن انقطاع المياه والكهرباء، وكأن المسؤول شخص آخر غيره، أو كأن اعتذار سيادته سيعيد الكهرباء إلى أسلاكها والمياه إلى مجاريها(!).

ما علينا، المهم أن الرئيس مرسى ضبط متلبسا بالمرمطة فى تشكيل حكومة هشام قنديل، ويبدو أن مرسى وجد فى الأخ هشام ضالته، فالعينة بينة، والجواب ظاهر من عنوانه، ورئيس الوزراء على ما بدا من تصريحاته الأولى، يبدو شخصية ضعيفة وركيكة جدًا، والطريف أنه قال للذين اعتذروا عن قبول العمل معه «سوف تندمون»، ولا ندرى عن أى ندم يتحدث سيادته، بينما وزارته «التكنوإخوان» تمشى على سكة الندامة بالذات، فلا هى حكومة «تكنوقراط» مما يعتد بشخصياتها، أو يشار إلى خبراتهم، ولا هى حكومة سياسية بأى معنى شعبى، بل مجرد خليط من سواقط القيد التكنوقراطى، إضافة لوزراء «فرقع لوز» اختارهم مكتب إرشاد الإخوان لمرسى، ثم أخبر مرسى صاحبه هشام بالأسماء، ووجدها الأخير فرصة لتمثيل دور رئيس الوزراء، وتماما كما يمثل مرسى دور

الرئيس، فليست «اللحية» وحدها هى الرابط المشترك بين مرسى وهشام، بل خواء الشخصية الظاهر عند الاثنين، والتواضع المميت فى القدرات، وقبول الأوامر على أنها نصائح واجبة التنفيذ، فقد اختار مكتب الإرشاد وزراءه، واختارهم خيرت الشاطر بالذات، ومن رجاله المخلصين الذين لا يناقشون ولا يعقبون، بل يؤدون أدوارهم على طريقة «عساكر المراسلة»، أو على طريقة «اربط الحمار مطرح ما صاحبه يعوز»، وترك المجلس العسكرى فرصة، أو ترك «مساحة تلاعب» لمكتب الإرشاد وخيرت الشاطر، وفى وزارات لا يكاد يلحظ وجودها أحد، تماما كما لم يكن وجود رئيس الوزراء - المؤلف قلبه إخوانيا - من الذين يلحظ لهم وجود، وربما فرح مرسى بوزير واحد من الذين اختارهم مكتب الإرشاد وخيرت الشاطر، وهو انزميل صلاح عبدالمقصود وكيل نقابة الصحفيين السابق، وهو رجل طيب ذو تاريخ نقابى طويل، لكن تاريخه المهنى لا يكاد يلحظ، ولم يحدث - ولو مرة - أن جرى اختبار كفاءته إداريا فى موقع مهنى، وكل الحكاية أنه «إخوانى» منضبط تنظيميا، وعمل مستشارا إعلاميا لحملة مرسى، وربما يتصور الرئيس فائدة فى اختيار عبدالمقصود وزيرا للإعلام، وكنت أتصور أن يرفض عبدالمقصود قبول الهدية المسمومة، فلا يوجد إعلامى أو صحفى معتبر يقبل بوجود وزارة للإعلام أصلا، وهو ما يعرفه عبدالمقصود بحكم تاريخه النقابى، لكنه قبل الأمر كعضو «إخوانى» مجبول على السمع والطاعة، وحتى لو خالفت اعتقاداته المعلنة عن حرية الإعلام، قبل الأمر وهو يعرف المطلوب، فمكتب إرشاد الإخوان يشكو من الإعلام، والرئيس مرسى يشكو أيضا، ويقيم الدعاوى القضائية ضد منتقديه، وربما تصور أعضاء مكتب الإرشاد، وتصور الرئيس مرسى، ربما تصوروا أن تولية عبدالمقصود للإعلام هى الحل، وأن عبدالمقصود كفيل بتكميم الأفواه وكسر الأقلام، أو أنه قادر على تحويل ما يسمى «الإعلام القومى» إلى شركة مضافة لإمبراطورية خيرت الشاطر، وهى مهمة أكبر من الزميل عبدالمقصود، وأكبر من مكتب الإرشاد،

ومن الرئيس مرسى نفسه، ولن يكسب هؤلاء سوى «سواد الوش» من وراء تعيين عبدالمقصود وزيرا للإعلام، والخاسر الأكبر سيكون الزميل عبدالمقصود نفسه، وهو الرجل الذى كان يحظى باحترام زملائه لطيبته واستعداده للخدمة، بينما سيكون عليه - بحسب الأوامر - أن يلعب دور «الفرعون» الذى لا يقدر عليه، ودور «الأخونة الإعلامية» فى بيئة تستعصى على الترويض، فلا أحد يستطيع وقف تيار النقد الحاد للرئيس، ولا لرؤساء الرئيس فى مكتب الإرشاد، فقد مضى عهد «آلهة العجوة»، وبدأت عهود تحطيم الأصنام، وعدا عن توريط عبدالمقصود فى المهمة المشينة المستحيلة عمليا، فقد اكتفى خيرت الشاطر برمى عدد محدود من رجاله فى محرقة الوزارة الجديدة، وفضل الانشغال بمحلاته و«سوبر ماركتاته»، وبإدارة الحوار الخفى الضاغط على وزير الداخلية الجديد اللواء أحمد جمال الدين، وتهديده بأن يلقى مصير اللواء محمد إبراهيم الذى لقى حتفه الوزارى بسبب عصيانه لأوامر الشاطر، بينما يبدو المجلس العسكرى متغاضيا عن نزوات خيرت الشاطر، وراغبا فى احتواء مرسى، وفرض سلطته فى الوزارات السيادية بالذات، وبعد أن انتهى اختيار وزراء المجموعة الاقتصادية إلى طراز تابع لما قبله، طراز «فلولى» بامتياز، وكأن يوسف بطرس غالى الهارب لايزال فى الوزارة، أو كأن محمود محيى الدين صديق جمال مبارك لايزال فى الوزارة، أو كأن فايزة أبوالنجا أفرخت فى الوزارة قبل أن تتركها، والاختيار الفلولى - اقتصاديا - هو نفسه الاختيار الإخوانى، فاقتصاد الإخوان هو «القرين» المباشر لاقتصاد مبارك، والذى يخدم الأول يخدم الثانى بغير إحساس باختلاف، أو برغبة فى اختلاف، أضف إلى ذلك ذات الاختيارات الروتينية العقيمة فى وزارات الخدمات، والتى لا تعنى سوى التأكيد على انهيار الخدمات العامة، وتحلل الدولة من وظائفها الحيوية، وتركها لواجباتها تجاه الأغلبية الساحقة من المصريين، وفيما كانت اختيارات وزراء الاقتصاد والخدمات موضع اتفاق بين المجلس العسكرى ومكتب الإرشاد، بقيت وزارات السيادة شأنا يخص المجلس

العسكرى وحده، وهكذا استمر وزراء الدفاع والخارجية والمالية فى مناصبهم، وجرى اختيار اللواء أحمد جمال الدين وزيرا للداخلية، وهو ابن عائلة عبدالأحد جمال الدين زعيم الهيئة البرلمانية الأخيرة لحزب مبارك المخلوع، ومن رجال جماعة حبيب العادلى وزير الداخلية المسجون، وقد يبدو جمال الدين صيدا سهلا لمكتب إرشاد الإخوان، لكنه يظل موضع ثقة أصلية من المجلس العسكرى الوريث الرسمى لحكم مبارك، والصورة ـ هكذا ـ تقول لك أين يوجد الرئيس مرسى بالضبط؟، فهو تحت الكرسى وليس فوق الكرسي، وهو يحمل أختاما، بينما الأسفار يكتبها غيره، فظل المجلس العسكرى حاضرًا آمرًا فى مكتب الرئيس، وكل معاونى وناصحى مرسى من رجال خيرت الشاطر المقربين، ومرسى لا يملك الجرأة على خيانة أحد الطرفين، فلا هو يملك الجرأة على خيانة أوامر المجلس العسكرى، ولا هو يفكر ـ مجرد تفكير ـ فى تكسير أوامر خيرت الشاطر، لا يستطيع مرسى خيانة الطرفين والانتصاف لنفسه، ولا يجد نفسه إلا فى الطقوس الرئاسية الفارغة من المعنى، وفى أداء صلوات الفجر والجمعة، وفى تصريحات المتحدث الرسمى باسمه، والتى تختلف فى المساء عنها فى الصباح، ولا تبقى للرئيس سوى بلاهة الاعتذار عن عدم أداء مهامه، والتفرغ لمهاتفة وملاقاة رئيس وزرائه الطيب هشام قنديل، وحضور اجتماعات حكومة الخيبة، وحين يجيء الفشل المحتوم، فسوف يقال لمرسى إنه لا بأس، فهى مجرد علقة تفوت ولا حد يموت، وهى مجرد «حكومة على ما تفرج»، وسوف يصدق مرسى ما يقال له، ويواصل الرئيس دوره «المرمطونى» بامتياز(!)

"صوت الأمة" فى ٦ من أغسطس ٢٠١٢